

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

République Algérienne Démocratique et Populaire

Ministère de l'Enseignement Supérieur

Et de la recherche scientifique

Université akli Muhand oulhadj

** bouira**

Tasdawit akli mohand oulhadj

** tubirett**

Faculté des Lettres et des Langues



جامعة البويرة

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أكلي محمد أولحاج

** البويرة **

كلية الأدب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

العنوان :

سمات الأدب الساخر عند ابن الجوزي من خلال كتابه : أخبار الحمقى والمغفلين

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الليسانس في اللغة و الأدب العربي

إشراف الأستاذة :

هواشيرة بختة

إعداد الطالبة :

- حسناوي إيمان

- بلحجر صبرينة

- بينال مباركة

السنة الجامعية : 2014/2015

شكر

الحمد لله الذي وفقنا لهذا العمل و منحنا القوة لإتمامه

كما نتقدم بجزيل الشكر و خالص التقدير للأستاذة المشرفة "هواشيرية بختة"

التي لم تبخل علينا بالنصيحة الطيبة لها منا كامل التقدير و الاحترام.

و الشكر موصول لكل من ساعدنا من قريب أو من بعيد.

إهداء

الزهرة تنبعث أحيانا من بين الصخر
و هذا هو بصيص الأمل في الليالي المظلمة
يعجز اللسان عن التعبير و القلم عن الكتابة
فلو مكثت العمر كله أجمع كلمات العالم لشكرك
فلن يكفيني عمري و لا كلماتي
إليك يا باعثة كياني و يا حافظة عهدي
ويا باكية أحزاني و سعيدة أفراحي
أمي الغالية.

إلى العائلة الكريمة.

إلى الأهل و الأحبة.

إلى كل من عرفني و بادلني الحب و الاحترام.

إلى كل هؤلاء أهدي ثمرة جهدي

إيمان

صبرينة

مباركة

مقدمة

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

مقدمة

الحمد لله رب العالمين الذي سخر لنا سبل الهداية و العلم ، نحمده حمدا كثيرا
كما ينبغي لجلال وجهه و عظيم سلطانه و صلى و سلم على حبيبه المصطفى محمد
خير البرية أجمعين و على آله و صحبه و من تبعه بإحسان إلى يوم الدين. و بعد .
امتألت المكتبات بكتب العلماء و الأدباء في العصر العباسي ، فكان صفحة
تاريخنا العربي التليد و أدبنا العتيد الذي لا يستطيع من يقرأه إنكار ما فيه من صواب
لأمجاد أمتنا و حفاظا على تراثنا الذي نعتز و نفخر به .
كان الأدب في هذه الحقبة وسيطا بين التقليد و التجديد و كان كتاب أخبار
الحمقى و المغفلين لمؤلفه ابن الجوزي خير مثال على ذلك ، و لعل ما نقع عليه
في سمات هذا الأدب من خلال هذا الكتاب : البساطة المتناهية الممزوجة بالواقعية .
كان هذا حافظنا لاختيار موضوع الأدب الساخر عند ابن الجوزي مجالا للدراسة
حيث تجسد السخرية المعاناة و الألم و النقد الاجتماعي و السياسي بلسان هزلي فكه
فتجمع بين الجدّ و الهزل و تترك في النفوس انطبعا قويا ، و تؤثر في القلوب تأثيرا
عميقا ، حتى أنها في تأثيرها أشد من الهجاء البحت أحيانا .

هذا و قد اقتضت طبيعة الموضوع تقسيمه إلى تمهيد و فصلين تعقبهما خاتمة بأهم نتائج الدراسة .

أما التمهيد فقد تحدثنا فيه عن مفهوم الأدب الساخر و نشأته و مراحل تطوره .
في حين خصصنا الفصل الأول لحياة ابن الجوزي و كتابه أخبار الحمقى و المغفلين، تناولنا فيه حياة ابن الجوزي و أعماله ، كما تناولنا أسباب و بواعث تأليفه لهذا الكتاب .

في حين خصصنا الفصل الثاني للسمات الفنية للكتابة الساخرة عند ابن الجوزي و قسمناه إلى عنصرين ، أولهما دراسة الكتاب من حيث اللغة والأسلوب ، أما الثاني فتحدثنا فيه عن أهم الآليات التي اعتمدها ابن الجوزي في مغالطة ظواهر الحمق .
أنهينا البحث بخاتمة تضمنتها أهم نتائج الدراسة .

في هذا ارتأينا اعتماد المنهج الوصفي التحليلي منهجا للدراسة كونه الأنسب لوصف الظاهرة و تحليلها.

من بين الصعوبات التي واجهناها أثناء العمل قلة المراجع التي تناولت موضوع السخرية و التهكم .

أخيرا فإننا نرجوا أن يكون هذا العمل لبنة من لبنات البحث ، عساه إضافة إيجابية إلى المكتبة العربية . و حسبنا فيه أننا أخلصنا النية و أخلصنا العمل .

تہیہ

التمهيد: _____ في مفهوم الأدب الساخر النشأة و التطور

تستهدف السخرية في جوهرها نقد الحياة أو تغيير بعض الظواهر فيها و هذا التغيير أو التطوير يبدأ أولاً بتشخيص الحال و معالجة الخلل فيها . و السخرية بدورها لا تكتفي بالنظر إلى الأشياء من السطح و لا تقتصر في تشخيصها للخلل على ظواهر الأمور، و إنما قد تشكّ في الإنسان ذاته و في النظام العام الذي يسيّر العالم، فتصبح مفهوما عميقا و نظرة شاملة أو كأنما أريد لها أن تحلّ محلّ الفلسفة و الأخلاق. و في هذا الصدد يقول أدونيس: « و في السخرية شجاعة استثنائية تصل بالشاعر إلى أن يجرب أحيانا تأثير السخرية على نفسه مغامرا، من أجل الآخرين و هي عدا ذلك تخبئ حنينا عميقا إلى الشفاء الروحي.»¹

تعتمد السخرية على أساليب بارعة تستهض عقول الناس و تدغدغ مشاعرهم فتصبح سلاحا متعدّد الأطراف ، و هذا ما يزيد من تأثيرها و قوّة سطوتها و يوسّع دائرة نشاطها ، في حين أن الجدّ حالة عادية غير طارئة.²

و يرى ابن رشيق القيرواني أنّ السخرية لها تأثير شديد إذ يردّد أن التعريض أهجى من التصريح و يعلّل ذلك باتّساع الظنّ في التعريض و شدّة تعلق النفس به و البحث عن معرفته و طلب حقيقته ، فإذا كان الهجاء تصريحاً أحاطت به النفس علما و قبلته يقينا من أول وهلة ، فكان كلّ يوم من نقصان لنسيان أو ملل.³

¹ - أدونيس علي أحمد سعيد، مقدّمة للشعر العربي، ط3، دار العودة، بيروت 1997م، ص40.

² - ينظر: أبو علي ياسين، بيان الحد بين الهزل و الجد، ط1، دار المدى، سوريا 1996م، ص25.

³ - ينظر: أبو علي الحسن بن رشيق، العمدة في محاسن الشعر و آدابه، ج2، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت 1981م، ص172.

التمهيد: _____ في مفهوم الأدب الساخر النشأة و التطور

و قد يمزج الساخر بين الفكاهة و النقد ليسري عن القارئ فيستطيع اقتحام

نفسيته بسهولة ليحقق مبتغاه .

السخرية لغة و اصطلاحا:

لغة: وردت السخرية في لسان العرب، « سخر منه و به، و مسخرا و سخرا بالصَّم

و سخرة و سخريا: هزئ به »¹.

السخرية هي « الاستهزاء ، و سخر من باب طرب، و قال الأخفش : سخر منه و به

ضحك منه و به و هزئ منه و به...»².

اصطلاحا: نسب عيب إلى شخص ما أو تفخيم عيب في شخص بغرض التهذيب

و الإصلاح ليبراً منه أو من بعضه، و لهذا فهي وسيلة لخدمة الفرد و المجتمع

بما فيها من تهذيب و تقويم و إصلاح لكونها تتضمن نوعا من الزجر أو الردع.³

كما عرفت السخرية مدلولات متعدّدة باختلاف الدارسين خاصة عند بعض

الباحثين، فقد ارتبطت بالدعابة و النكتة، و الظروف، و التفكه و الضحك، و الهزء...

و تبعا لذلك فقد تطوّر مدلول السخرية عبر العصور و هذه الكلمات مرتبطة بالسخرية.

¹- ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن كرم، لسان العرب ، ج2 ، دار صادر، بيروت ، ص114.

²- محمد بركات حمدي أبو علي ، دراسة في الأدب ، ط1 ، دار وائل للنشر ، 1999م ، ص107.

³- ينظر: رابح العربي ، فن السخرية في أدب الجاحظ من خلال كتاب الترييح و التدوير و الحيوان ، ديوان المطبوعات الجامعية ، ط1 ، الجزائر 1989م ، ص5.

التمهيد: _____ في مفهوم الأدب الساخر النشأة و التطور

فبعد تقصينا المعجم العربي لكلمة "سخرية" إنها تعني القهر و التذليل و إخضاع الآخر، فهي مرادفة للشعور بالأفضلية و النظر للآخر نظرة دونية و قد نهانا الإسلام عنها حيث وردت في عدة مواضع من القرآن الكريم تحمل الدلالة نفسها نذكر قوله تعالى: ﴿ و يصنعُ الفلك و كلما مرّ عليه ملاً من قومه سخروا منه قال ان تسخروا منّا فانا نسخر منكم كما تسخرون ﴾ [هود: الآية 38]. فكانت بذلك مرادفة لكلّ معاني الاستهزاء و الاستخفاف حيث يركّز الساخر على تبيان عيوب الآخر جسدية كانت أو نفسية أو مادية.

ظهور فن السخرية و تطوره :

لم يعرف العرب في الجاهلية السخرية بوصفها ظاهرة إذ غلب على أشعارهم الطابع الجدّي ، فعرفوا الهجاء الذي واكب المديح و سايره و كان جزءا من القصائد التقليدية منبثا في حماستهم و إشادتهم بأمجادهم و انتصاراتهم الحربية ، و كان في جوهره تعبيرا عن احتقارهم للضعف و الخور، فدار فيما يتصل في ذلك من القعود عن الغزو و التقصير في جماعة الجار، و العجز عن أخذ الثأر، و الانهزام في المعركة و الاستسلام للأعداء ، و وضاعة النسب ، و البخل و الفقر. و استمرّ الهجاء على هذه الصورة في صدر الإسلام ، و إن كان بعض شعرائه قد فصلوه عن غيره من الموضوعات و أفردوه في مقطوعات ، و عابوا فيه مهجويهم بالكفر و الشرك ، و مخالفة الخلق الكريم ، و عدّ الهجاء بالمفهوم السابق إثما كبيرا لا يجوز

التمهيد: _____ في مفهوم الأدب الساخر النشأة و التطور

أن يجري به لسان الشاعر و خاصة المقذع منه ، و قد فسر عمر ابن الخطاب - رضي الله عنه - الهجاء المقذع حيث أطلق الحطيئة من سجنه بسبب هجائه للزبيرقان بن بدر عندما قال له : « إياك و الهجاء المقذع . قال : و ما المقذع يا أمير المؤمنين ؟ قال : المقذع أن تقول هؤلاء أفضل من هؤلاء و أشرف ، و تبني شعرا على مدح لقوم و ذم لمن تعاديهم »¹.

أمّا في العصر الأموي فقد نما الهجاء نموا كبيرا في شكله و مضمونه و غايته و احترفه شعراء النقائض حتى أصبح قصائد مطولة ، مستغلين فيه التاريخ الجاهلي بما فيه من أنساب و حروب ، و انتصارات و هزائم ، ثم التاريخ الإسلامي، و مواقف القبائل من الدولة الأموية و خلفائها متوخين من نقائضهم التسلية و الترفيه و الإضحاك².

و تبقى النقائض مناضرات أدبية أوجدتها ظروف عقلية ، و أخرى اجتماعية في عصر بني أمية أكثر من كونها هجاء بالمعنى المعروف في الجاهلية . انتهى فن النقائض في القرن الثاني و أوشك على الزوال بانتهاء الدوافع الاجتماعية التي كانت تدعو إليه .

لقد بدأت تظهر في أوائل العصر العباسي ظواهر أدبية جديدة ، منها الفكاهة التي سايرت الهجاء ، حيث اتجهت كثيرا من النفوس إلى الفكاهة بغرض التسلية

¹ - أبو الحسن بن رشيق ، العمدة ، ص170.

² - ينظر: شوقي ضيف ، التطور و التجديد في الشعر الأموي ، طع ، دار المعارف ، مصر، ص 163 .

التمهيد: _____ في مفهوم الأدب الساخر النشأة و التطور

و ظهرت في الشعر أساليب التهكم ، و تفنّن الشعراء في صوغها و أخذت شكلا جديدا في تناولها للحياة .

ثم ظهرت السخرية التي تعتمد على التقاط العيوب ، و تصويرها بطريقة مضحكة و لا يعني ذلك عدم وجود بعض الأبيات الساخرة قبل العصر العباسي. فقد عرف هذا اللون عند الحطيئة ، و جرير، و غيرهما لكن في حدود ضيقة ، و مع ذلك فان ظاهرة السخرية و انتشارها في أدبنا العربي لم تبدأ بوضوح إلا ببداية المرحلة العباسية و هي ظاهرة بدأت عند كتاب ذلك العصر، إذ ظهرت عند الجاحظ في رسائله و في كتابه البخلاء ، ثم عند الشعراء ابتداء من بشار بن برد حتى أبي العلاء مرورا بأبي نواس و ابن الرومي و غيرهما .

في هذا: « يرجع ظهور السخرية إلى بدأ النظرة المتحررة من الماضي و إلى تفوق الشعور الفردي الذي ظهر عند شعراء هذه المرحلة ، فأصبح الشعور بالغرابة و الانفصال عن الآخرين يشكل ظاهرة عامة ، يتسم بها معظم الشعراء العباسيين من أمثال بشار و ابن الرومي و غيرهما »¹.

فكانت لهؤلاء الشعراء مواقف يقفونها من الناس و المجتمع و نظرات في الحياة و رؤى ذاتية و كانت رؤية كل شاعر تختلف عن رؤية الآخر . و أدى ذلك إلى اتساع مضمون السخرية و تعدد دلالاتها و اختلاف أساليبها باختلاف كل واحد منهم .

¹ - أدونيس، مقدمة للشعر العربي، ص39.

التمهيد: _____ في مفهوم الأدب الساخر النشأة و التطور

تعد السخرية من أبرز ملامح التحول في الموقف الشعري عند الشعراء العباسيين فالصدام بين هؤلاء الشعراء و مجتمعاتهم و تقاليد الحياة في عصورهم وصل حد الرفض و الإنكار و الثورة أحيانا و التي غيرت وجه المجتمع و منحته شكله الجديد لما نشأ من صراع سياسي و اضطراب في مناحي الحياة الاجتماعية و الاقتصادية .

الفصل الأول :

حول حياة ابن الجوزي و كتابه : أخبار الحمقى و المغفلين.

أولا : ابن الجوزي حياته و أعماله .

1-مولده و نشأته .

2-شيوخه و ثقافته .

3-محنته و وفاته .

ثانيا : كتاب أخبار الحمقى و المغفلين و بواعث تأليفه .

1-التعريف بالكتاب .

2-بواعث تأليف كتاب أخبار الحمقى و المغفلين .

الفصل الأول

حول حياة ابن الجوزي و كتابه أخبار الحمقى و المغفلين:

مع بداية العصر العباسي و ازدهار الآداب و الفنون ، عرفت السخرية نقلة نوعية حيث توّضحت معالمها و بدأت قواعدهما الأولى تتّرسخ كفن قائم بذاته ، لذا كانت هذه الفترة بداية فعلية لظهور الأدب الساخر بحيث اتخذ منه العديد من الأدباء و الشعراء أسلوبا خاصا في الكتابة إزاء الواقع و تناقضاته و تعبيراً عن مواقفهم و من بينهم أبو الفرج ابن الجوزي .

أولا : ابن الجوزي حياته و أعماله :

1-مولده و نشأته :

الإمام العلامة الحافظ جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمان بن أبي الحسن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله ابن عبد الله بن حمادى بن أحمد بن محمد بن جعفر بن عبد الله بن القاسم بن النضر بن القاسم بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمان بن قاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق القرشي التيمي البكري البغدادي الحنبلي الواعظ عالم العراق و واعظ الآفاق المفسر صاحب التصانيف السائرة في فنون العلم أحد أعلام الفكر الاسلامي ، عرف جدّه بالجوزي بجوزة كانت بداره بواسط لم يكن بواسط جوزة سواها ¹.

¹ - عبد العزيز سيد هاشم الغزولي ، سلسلة أعلام المسلمين ، ط1 ، دار القلم ، دمشق 2000 م ، ص19.

الفصل الأول: ————— حول حياة ابن الجوزي وكتابه أخبار الحمقى والمغفلين

ولد تقريبا سنة عشر و خمس مائة أو قبلها ببغداد اختلف في سبب تسميته بابن

الجوزي ، و من الآراء التي قيلت في ذلك أنّ :

- الجوزة محلة بالبصرة .

- و أنّ جوزة بواسط كانت في دار جعفر (جد ابن الجوزي) .

- و أنّها فرضة النهر (ثلمته) .

لذلك: « لا مانع في اجتماع هذه الأسباب الثلاثة في سبب التسمية بالجوزي

و إن كان الرأي الأول هو الراجح.»¹

و يرجّح أنّه ولد سنة عشر و خمس مائة هجرية ، و ذلك لأنّ كثيرا

من المؤرخين ذكروا هذا التاريخ . إذن فقد ولد ابن الجوزي سنة خمس مائة و عشر

هجرية في درب حبيب و مات أبوه و عمره ثلاث سنوات و انصرفت عنه أمه فربّته

عمّته و اعتنت به فلما ترعرع حملته إلى الحافظ أبي الفضل بن ناصر فاعتنى

بتربيته.²

تلقى ابن الجوزي تربية علمية رفيعة فأخذ العلم عن كبار علماء عصره ، فحفظ

القرآن و سمع الحديث عن ابن ناصر و وعظ الناس و هو صبي ، تعلم الوعظ

¹ - عبد العزيز سيد هاشم الغزولي ، سلسلة أعلام المسلمين ، ص 19 .

² - ينظر: أبو الفرج ابن الجوزي ، القصاص و المذكرين ، تح: محمد بن لطفي الصباغ ، ط2 ، المكتب

الإسلامي ، بيروت 1988م ، ص09.

الفصل الأول: ————— حول حياة ابن الجوزي وكتابه أخبار الحمقى والمغفلين

من شيخه الزاغوني ، أخذ الفقه عن أبي بكر الدينوري الحنبلي و ابن الفراء ، و اللغة عن أبي منصور بن الجواليقي ، و قرأ القرآن على سبط الخياط .¹

ابن الجوزي و اهتماماته الاجتماعية :

رغم انشغال ابن الجوزي بالعلم و التعلّم إلّا أنّه كانت له حياته الاجتماعية حيث

تزوج و أنجب ثلاثة ذكور و خمس بنات :²

- عبد العزيز و هو أكبرهم ، سمع العلم في صغره و سافر إلى الموصل و وعظ بها حتى مات هناك ، مات شابا في حياة أبيه .

- أبو القاسم علي و هو أوسط أولاده الذكور ، و كان عاقا لوالده ، فقد أخذ مصنفات أدبية و باعها بأرخص الأثمان ، فهجره أبوه بسبب عقوقه .

- محي الدين يوسف ، و هو أصغر أولاده الذكور و أنجبهم ، وعظ بعد أبيه ، و كتب و أتقن حتى ساد على أقرانه ، قتل مع الخليفة على يد التتار سنة ست و خمسين و ست مائة هجرية.

أما البنات فله : رابعة أم سبط ابن الجوزي ، أشرف النساء ، و زينب ، و جوهرة و ست العلماء الصغيرة .

¹- ينظر: عبد العزيز سيد هاشم الغزولي ، سلسلة أعلام المسلمين ، ص20.

²- ينظر: المرجع نفسه ، ص 21 ، 22.

2- شيوخه و ثقافته :

تميّز ابن الجوزي بصفات عظيمة حيث بدأت تظهر ملامح شخصيته مبكرا ، ففي صباه كان ملتزما دينا ، لا يخالط أحدا و لا يأكل ممّا فيه شبهة و لا يلعب مع الصّبيان . فكان شغوفًا بالعلم و المعرفة ، كان يقوم برحلات كثيرة في سبيل ذلك ، يقول في هذا الصدد : « إني رجل حبيب إليّ العلم منذ زمن الطفولة فتشاغلت به ثمّ لم يحبّب إليّ فن واحد منه ، بل الفنون كلّها ثمّ تقتصر همّتي في فن على بعضه بل تروم استقصاءه ، و الزمان لا يسع ، و العصر أضيق ، و الشوق يقوى و العجز يظهر ، فيبقى ، و قوى بعض المطلوبات حسرات.»¹

كان ابن الجوزي يستغل أوقاته أعظم استغلال ، تميّز هذا الرجل بحرصه على وقته و عدم تضييعه دون فائدة . يقول في هذا الشأن : « ينبغي للإنسان أن يعرف شرف زمانه ، و قدر وقته ، فلا يضيع منه لحظة من غير قرّة ، و يقدم الأفضل فالأفضل من القول و العمل، فلنكن نيته في الخير قائمة.»²

كما يقول أيضا : « و اعلم أنّ الزمان أشرف من أن يضيع منه لحظة.»³

¹- أبو الفرج ابن الجوزي ، صيد الخاطر ، تح: عبد القادر أحمد عطا ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت 1992، ص 32.

²- المصدر نفسه ، ص22 .

³- المصدر نفسه ، ص490 .

الفصل الأول: ————— حول حياة ابن الجوزي وكتابه أخبار الحمقى والمغفلين

كما تميّز « بقوة الذاكرة و سرعة الحفظ ، حفظ القرآن في صغره بالإضافة إلى كتب السنة و المسانيد ، فكانت قوّة ذاكرته هي المعين له في خطبه و مواظبه »¹ .

علوّ الهمة صفة اكتسبها منذ الصغر، اتّسم بالقناعة ، « يرضى بالقليل من الطعام و يطلب معاني الأمور فكان يلقي من أجل ذلك الشدائد و يخرج في زمان الصبى و معه أرغفة يابسة لا تؤكل إلّا مع الماء فيقعد على نهر عيسى و يظل يقرأ و يحفظ حتّى عرف بكثرة حفظه و سماعه لأحاديث رسول الله صلى الله عليه و سلم و أحواله و آدابه ، و كان على علم بأنّ علوّ همّته تلزم بالعمل و التحصيل و اختيار معاني الأمور فاستغل ذلك أحسن استغلال و استفاد من تلك الهمة العالية أحسن فائدة »² .

اتّصف ابن الجوزي بكثرة التّعبد ، « يختم القرآن كلّ أسبوع و يزهد من الدنيا و يتحرى الحلال في مطعمه »³ ، فكان هذا حاجزا له من الوقوع في المحارم .

يقول ابن الجوزي في حبه لله : « و كيف لا أحب من أنا به و بقائي منه و تدبيرى بيده، رجوعي إليه ، و كلّ مستحسن محبوب هو صنعه و حسنه و زينه و عطف النفوس إليه . »⁴

¹ - عبد العزيز سيد هاشم الغزولي ، سلسلة أعلام المسلمين ، ص 26 .

² - المرجع نفسه ، ص 25 .

³ - المرجع نفسه ، ص 26 .

⁴ - أبو الفرج ابن الجوزي ، صيد الخاطر ، ص 44 .

الفصل الأول: ————— حول حياة ابن الجوزي وكتابه أخبار الحمقى والمغفلين

كان ابن الجوزي معتدًا بنفسه ، فخورا و هذه الروح المليئة بالفخر و الاعتداد
تكررت عنده كثيرا ، و قد يلتمس له بعض العذر بأنه لا يقصد من ذلك مدح نفسه
و التعالي بعلمه بقدر ما يقصد لفت الناس إلى أهمية كتبه و مؤلفاته.¹

لم يكن ابن الجوزي يقبل على الحكّام و لم يحاول أن يتقرّب منهم كما يفعل
غيره يقول في هذا الصدد : « العجب ممن له مسكة من العقل أو عنده قليل من دين
كيف يؤثر مخالطتهم فأنه بالمخالطة لهم أو العمل معه يكون قطعاً خائفاً من عزل
أو قتل أو سمّ ، و لا يمكنه أن يعمل إلا بمقتضى أوامرهم ».²
و من بين المشايخ الذين أخذ عنهم ابن الجوزي العلم نذكر :³

✓ أبو القاسم هبة الله محمد بن عبد الواحد بن الحصين الشيباني البغدادي .

✓ أبو بكر محمد بن عبد الباقي بن محمد الأنصاري .

✓ أبو بكر محمد بن الحسن بن علي الحاجي المعروف بالمزرفي .

✓ أبو القاسم هبة الله بن أحمد بن عمر الحريري البغدادي ابن الطبري .

✓ أبو الحسن علي بن عبد الواحد الدينوري

✓ أبو السعادات أحمد بن أحمد بن عبد الواحد العباس .

✓ أبو غالب أحمد بن الحسن بن أحمد بن البناء .

¹ - ينظر: عبد العزيز سيد هاشم الغزولي، سلسلة أعلام المسلمين ، ص29.

² - أبو الفرج ابن الجوزي، صيد الخاطر، ص462.

³ - ينظر: عبد العزيز سيد هاشم الغزولي، سلسلة أعلام المسلمين ، ص 36 .

الفصل الأول: ————— حول حياة ابن الجوزي وكتابه أخبار الحمقى والمغفلين

✓ أبو عبد الله يحيى بن أبي علي الحسن بن أحمد بن البتاء .

✓ أبو عبد الله الحسين بن محمد بن عبد الوهاب الدبّاس البارع .

✓ أبو الوقت عبد الأول بن عيسى شعيب الهروي السجزي .

و غيرهم كثيرون ، فقد ذكر ابن الجوزي ست و ثمانون شيخا انتفع من علمهم

كما ذكر أنه سمع من ثلاثة نسوة و هن :¹

• فاطمة بنت محمد بن الحسين الرازي البزاز .

• فاطمة بنت أبي حكيم عبد الله بن إبراهيم الجبري .

• شهدة بنت محمد بن الفرّج الأبري .

أما عن كتب و مؤلفات ابن الجوزي فهي غزيرة ، نشر الأستاذ العلوجي كتابه :

(مؤلفات ابن الجوزي) ببغداد 1965م ، فجمع فيه كل ما وقف عليه ابن الجوزي

ذكر العلوجي أن مؤلفات ابن الجوزي تزيد عن أربع مائة كتاب .²

¹ - ينظر: عبد العزيز سيد هاشم الغزولي ، سلسلة أعلام المسلمين ص41.

² - ينظر: أبو الفرّج ابن الجوزي، أخبار الأتكياء ، تح: بسام عبد الوهاب الجابي ، ط1 ، دار ابن حزم بيروت ، 2003م ، ص15.

تلامذة ابن الجوزي :

و مثل ابن الجوزي في غزارة علمه و إحاطته بمعظم ثقافات عصره ، حرّي بأن يلتقّ حوله عدد كبير من طلبة العلم ليأخذوا عنه فقد سمع عنه جماعة من العلماء نذكر منهم¹:

طلعة بن المظفر العلثي (ت 598هـ) ، و هبه الله بن عبد الله السامري ثم البغدادي (ت 598هـ) ، و محمد بن عثمان بن العكري (ت 599هـ) ، عبد الغني بن عبد الواحد الجمياعيلي المقدسي الحافظ (ت 600هـ) ، عبد المنعم بن علي بن نصر الحراني (ت 601هـ) ، الفقيه الواعظ عبد الحلیم بن محمد بن أبي القاسم بن الخضر بن محمد بن تيمية (ت 603هـ) ، عبد الرحمان بن عيسى البغدادي ، أبو الفرج البزوري (ت 604هـ) ، أبو عبد الله فخر الدين محمد بن خضر بن تيمية (ت 622هـ) شيخ حران و خطيبها ، محمد بن أحمد بن عمر القطيعي (ت 634هـ) صاحب "درة الإكليل في تنمة التذليل" ، محمد بن سعيد بن يحيى ، أبو عبد الله الدببتي (ت 637هـ) صاحب "الذيل في تاريخ السمعاني" ، أبو الفرج نجيب الدين عبد اللطيف الحراني (ت 672هـ)... بالإضافة إلى ولده محي الدين يوسف (ت 656هـ) ، و سبطه أبي المظفر شمس الدين قزوغلي (ت 654هـ).

¹- ينظر: أول خير عمر عيسى سراج ، أدب ابن الجوزي ، رسالة ماجستير ، جامعة أم القرى ، المملكة العربية السعودية 1988 ، ص 79، 80 .

3 - محنته و وفاته :

نالت ابن الجوزي في أواخر حياته محنة ، فقد وشوا به إلى الخليفة في أمر
اختلف في حقيقته و ذلك في الصيف . فبينما هو جالس في داره في السرداب
يكتب ، جاءه من أسمعاه غليظ الكلام و شتمه ، و ختم على كتبه و داره ، و شتت
عياله فلما كان أول الليل حملوه في سفينة و أحذروه إلى واسط . فأقام خمسة أيام
ما أكل طعاما ، و هو يومئذ ابن ثمانين سنة و حبسوه في دار بواسط . و جعلوا عليها
بوابا و كان يخدم نفسه ، و يغسل ثوبه ، و يطبخ ، و يستقي الماء من البئر .

و بقي كذلك خمس سنين ، و كان من جملة أسباب القضية أن الوزير ابن
يونس قبض عليه فنتبع ابن القصاب أصحاب ابن يونس ، فكان الركن بن عبد السلام
بن عبد الوهاب بن عبد القادر الجيلي المتهم بسوء العقيدة واصلا عند ابن القصاب .
فقال له أين أنت عند ابن الجوزي ، فهو من أكبر أصحاب ابن يونس ، و أعطاه
مدرسة جدي و أحرقت كتبي بمشورته ، و هو ناصبي من أولاد أبي بكر . و كان ابن
القصاب شيعيا فكتب إلى الخليفة و ساعده جماعة و لبسوا على الخليفة فأمر بتسليمه
إلى الركن عبد السلام. و تكلمت أم الخليفة في خلاص ابن الجوزي فأُطلق و عاد

إلى بغداد .¹

¹- ينظر: أبو الفرج ابن الجوزي، صيد الخاطر، ص09.

الفصل الأول: ————— حول حياة ابن الجوزي وكتابه أخبار الحمقى والمغفلين

توفي ابن الجوزي ليلة الجمعة في الثالث عشر من رمضان ، بين العشائين سنة سبع و تسعين و خمس مائة ، عن عمر يناهز التسعين عاما ، فغسل وقت السحر ، و شيعته بغداد على بكرة أبيها و حملت جنازته على رؤوس الناس و كان الحر شديدا ، إذ كانت وفاته في شهر تموز ، فأفطر من حضر لشدة الحر و الزحام و ما وصلوا إلى حفرته إلا وقت صلاة الجمعة ، و دفن بباب حرب بالقرب من مدفن الإمام أحمد بن حنبل .¹

أوصى ابن الجوزي أن تكتب على قبره هذه الأبيات :²

يا كثير الصفح عمن	كثر الذنب لديه
جاءك المذنب يرجو ال	صفح عن جرم يديه
أنا ضيف وجزاك ال	ضيف إحسان إليه

و يذكر سائر من أرخ لوفاته أن الناس حزنوا عليه أشد الحزن ، و باتوا حول قبره بقية شهر رمضان الذي توفي فيه يختتمون الختامات بالقناديل و الشموع و أفردت لراثه القصائد .³ كانت حياة هذا الرجل العظيم سلسلة من الكفاح المتواصل و السعي الدؤوب في طلب العلم و الانكباب على الدرس و التحصيل حتى أصبح عالم بغداد المشهور و واعظها المؤثر في النفوس.

¹- ينظر: أمانة محمد نصير، ابن الجوزي آراؤه الأخلاقية و الكلامية، ط1 ، دار الشروق ، مصر، 1987م ص40 .

²- أبو الفرج ابن الجوزي ، صيد الخاطر ، ص10 .

³- ينظر: أمانة محمد نصير، ابن الجوزي آراؤه الأخلاقية و الكلامية ، ص40.

ثانيا : كتاب أخبار الحمقى و المغفلين و بواعث تأليفه

زخر التراث العربي القديم بالمصنفات التي أولت عناية خاصة بالأدب الساخر و قد صنف في ذلك الباب الكثير من الكتاب و العلماء الذين اجتذبهم هذا النوع من الكتابة الساخرة ، و الغريب أن أكثر من كتبوا هذه الكتابة كانوا من الكتاب الذين وصفوا بالجدية و الصرامة في كتاباتهم الأخرى ، و من بينهم "ابن الجوزي" .

1 - التعريف بالكتاب

يعدّ ابن الجوزي أشهر من ألف في السخرية بكتابه "الأذكياء" و "أخبار الحمقى و المغفلين" فقد رصد في الكتاب الأول أخبار الأذكياء من العلماء و الفقهاء و المفسرين و الرواة و أرباب الطوائف المختلفة ، و في الكتاب الثاني أكمل ما بدأه في الكتاب الأول .فتتبع أخبار هؤلاء الحمقى من الفقهاء و المفسرين و الرواة و المحدثين ، و الشعراء و المتأدبين و الكتاب و المعلمين و التجار و طوائف تتصل بالغفلة بسبب متين .

مقدمة الإمام ابن الجوزي للكتاب تبدأ بالعبارة المألوفة " قال الشيخ الإمام...¹ في هذه المقدمة يكتب المؤلف كلاماً - ذا منحى تبريري - موثقاً بالحديث النبوي و الشعر القديم يمهّد به لموضوعه و تنتهي المقدمة بفصل يعدد فيه المؤلف أبواب الكتاب .

¹- ينظر: مقدمة كتاب أبو الفرج ابن الجوزي ، أخبار الحمقى و المغفلين ، شرحه: عبد الأمير مهنا ، ط1 ، دار الفكر ، لبنان 1990م.

الفصل الأول: ————— حول حياة ابن الجوزي وكتابه أخبار الحمقى والمغفلين

لقد قسّم ابن الجوزي هذا الكتاب إلى أربعة و عشرين بابا ، و في أوّل أبواب الكتاب عرّف الحمّاقّة و شرح معناها ، و ذكر أسماء الحمقى و بيان صفاتهم و التحذير من صحبتهم ، و أشار إلى من ضرب به المثل في حمقه و تغفيله و **ذكر جماعة من العقلاء صدرت** عنهم أفعال الحمقى فأصروا عليها مستوصين لها فصاروا بذلك الإصرار حمقى و مغفلين ، ثمّ انتقل ابن الجوزي ليحدثنا عن المغفلين من القراء و الصحفيين ، ثمّ ذكر من روّاة الحديث ، و من الأمراء و الولاة و ذكر المغفلين من القضاة و الحجاب و الكتاب و المؤذنين و الأئمة و الأعراب و المتحدلقين ، و أشار إلى ذكر من قال شعرا من المغفلين ، ثمّ تحدث بعد ذلك عن الحمقى و المغفلين من القصاص و الوعاظ و المترهدين و الحلقة ، و ينتهي الكتاب بفصل طويل يتحدث فيه عن أخبار المغفلين على الإطلاق ، و هو باب جامع لأصناف كثيرة من هؤلاء الحمقى . يعتبر الفصل الثامن أهم فصل في الكتاب ، يحمل عنوان (في ذكر أخبار من ضرب المثل في حمقه و تغفيله)¹، و هو هنا يقصد الحمقى و المغفلين من التراث السابق لعصره . و هو عصر بلغت فيه الحضارة الإسلامية ذروتها .

نلاحظ أنّ ابن الجوزي كان شديد الاهتمام بسند الطرفة و عنعناتها ، و هذا منوال جرى عليه المؤلفون في عصره .

¹ - أبو الفرج ابن الجوزي ، أخبار الحمقى و المغفلين ، ص 43 .

الفصل الأول: ————— حول حياة ابن الجوزي وكتابه أخبار الحمقى والمغفلين

هذا و « جاءت في كتاب أخبار الحمقى و المغفلين كثير الفكاهات التي تنوعت في موضوعاتها نتيجة الحماسة و الفهم الخاطيء ، أو غير ذلك من الأسباب التي يقع فيها هؤلاء الحمقى ، و قد أراد ابن الجوزي من خلال كتابه أن يروح عن نفوس القراء و أن يدعوهم للاعتبار بما وهبهم الله من نعمة العقل و الفهم . »¹

إن الكثير من الأخبار و الحكايات التي رواها لنا ابن الجوزي في كتابه هذا مستقاة من تجربته الاجتماعية و السياسية في ذلك العصر، فهو لم يوفر أميرا أو فقيها و لا عالما لغويا أو شاعرا إلا و أدرجه في باب من أبواب الكتاب ، و بروح تهكمية ساخرة و لكن سمحة ، روح تكاد تكون غريبة على شخصية كاتب انعزالي مثله.

2- بواعث تأليف كتاب أخبار الحمقى و المغفلين :

و عن سبب تأليفه لهذا الكتاب يقول ابن الجوزي في المقدمة : « و بعد فإني لما شرعت في جمع أخبار الأذكىاء و ذكرت بعض المنقول عنهم ليكون مثالا يحتذى لأن أخبار الشجعان تعلم الشجاعة ، آثرت أن أجمع أخبار الحمقى و المغفلين لثلاثة أشياء :

¹ - جهاد عبد القادر قويدر، شعر الفكاهة في العصر العباسي دراسة نقدية تحليلية ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب و العلوم الإنسانية ، جامعة البعث ، العراق 2009 ، ص27.

الفصل الأول: ————— حول حياة ابن الجوزي وكتابه أخبار الحمقى والمغفلين

- الأول أنّ العاقل إذا سمع أخبارهم عرف قدر ما وهب له مما حرموه ، فحثّه ذلك على الشكر .

- و الثاني أنّ ذكر المغفلين يحثّ المتيقظ اتقاء أسباب الغفلة إذا كان ذلك داخلا تحت الكسب، و عامله فيه الرياضة ، أما إذا كانت الغفلة مجبولة في الطباع ، فإنها لا تكاد تقبل التغيير .

- و الثالث أنّ يروح الإنسان قلبه بالنظر في سير هؤلاء المبخوسين حظوظا يوم القسمة ، فإنّ النفس قد تملّ من الدعوب في الجّد ، و ترتاح إلى بعض المباح من اللّهو ¹ .

هدف ابن الجوزي في كتابه إلى تربية الناس ، عن طريق النادرة و الخبر الطريف الذي يرويه عن الأذكياء و الحمقى و الظّراف . لذا يمكننا أن نعدّ كتب ابن الجوزي أو - معظمها - في مجال الفكاهات. و قد دافع ابن الجوزي عن كتابه " أخبار الحمقى و المغفلين " ما يوجبه من الضحك ، مؤكّدا أنّ الضحك المعتدل الذي لا يكون فيه كذب لا شيءٍ فيه.²

تجسد السخرية المعاناة و الألم و النقد الاجتماعي و السياسي بلسان هزلي فكه ، فتجمع بين الجد و الهزل...، و تترك في النفوس انطبعا قويا ، و تؤثر في القلوب تأثيرا عميقا حتى أنها في تأثيرها أشد من الهجاء البحت أحيانا.

¹- أبو الفرج ابن الجوزي ، أخبار الحمقى و المغفلين ، ص13 .

²- ينظر: أول خير عمر عيسى سراج ، أدب ابن الجوزي ، ص387 .

الفصل الأول: ————— حول حياة ابن الجوزي وكتابه أخبار الحمقى والمغفلين

من خلال قراءتنا لكتاب أخبار الحمقى و المغفلين وجدنا أنّ ابن الجوزي لم يؤلف كتابه للمتعة و إنّما يريد به معالجة الظواهر الغريبة التي تفتت في مجتمعه و المتمثلة في تغلغل المغفلين في شتى مجالات الحياة و احتلال مناصب هامة من التعليم و القضاء...، و يسعى من وراء ذلك إلى التحذير من الحمق و التغفيل ، و ينبه لخطورة الوضع الذي آلت إليه البيئة العباسية.

الفصل الثاني

سمات الأدب الساخر في كتاب: أخبار الحمقى و المغفلين .

أولاً : من حيث اللّغة و الأسلوب .

1-اللغة .

2-الأسلوب.

ثانياً : آليات مغالطة ظواهر الحمق عند ابن الجوزي .

1- الحجاج بالمغالطة .

2-الحجاج بالقرآن الكريم .

3-الحجاج بالأحاديث النبوية .

4-الحجاج بالشعر .

5-الحجاج بالأمثال .

الفصل الثاني

سمات الأدب الساخر في كتاب أخبار الحمقى و المغفلين

يركز هذا الفصل على سمات الكتابة الساخرة عند ابن الجوزي في محاولة لفهم خصائص الأدب الساخر عنده ، لذلك عمدنا في هذا الفصل إلى دراسة كل ما يتعلق باللغة و الأسلوب ، و كذا جملة الآليات التي اعتمدها ابن الجوزي في معالجة ظاهرة الحمق .

أولاً : اللغة و الأسلوب

تعدّ اللغة اللبّة الأساسية للأسلوب الأدبي و تشكيلها أمر مهم في بناء هذا الأسلوب ، لذا لا بدّ للشاعر أو الأديب من تخير ألفاظه و تجويد صناعتها ، فاللفظ جسم روحه المعنى يقوى بقوته و يضعف بضعفه ، فإذا سلم المعنى و اختل اللفظ كان ذلك نقصاً للشعر كالجسم الذي تعثره العلل ، فاختلال اللفظ يؤدي بالضرورة إلى اختلال المعنى . نلاحظ أن لغة كتاب (أخبار الحمقى والمغفلين) لغة بسيطة و قريبة مما يلهج به الناس في أحاديثهم بعيدة عن الرصانة و الجزالة و الألفاظ الغامضة ، فجاءت لغة سهلة و واضحة و بعيدة عن التكلف و الغموض ، كون الكتاب موجه لكافة الطبقات ، لذا كان لزاماً على ابن الجوزي جعل أسلوبه في تناول فهم العامة .

الفصل الثاني: سمات الأدب الساخر في كتاب أخبار الحمقى والمغفلين

نجد الألفاظ الشعبية العامية شائعة و متداولة ، و هي لا تحتاج إلي معجم لاستيضاح معانيها ، حتى مع قارئ اليوم .

نلاحظ وجود كلمات عامية استعملها الكاتب في هذه المواقف الساخرة . فقد أورد في (باب المغفلين من الأمراء و الولاة) قوله : « حدّثنا محمد بن خلف قال : بعض الولاة لكتابه أكتب إلي فلان و عنفه و قل له بئس ما صنعت يا خرا ، فقال الكاتب : أعزّك الله لا يحسن هذا في المكاتبة قال : صدّقت إحس موضع الخرا بلسانك »¹ لقد استخدم كلمة عامية قبيحة تكررت هذه الكلمة في عدّة مواضع من الكتاب .

أدرك ابن الجوزي أنه يتّمتع بسلطة ذاتية لانتقاد الظواهر الغريبة في مجتمعه فلجأ إلى محاورة هذه الظواهر بطريقة ساخرة في طياتها نقد لاذع و التفاتة إلى ضرورة تغييرها نظرا لما بلغه من الاقتدار على الوعظ و التأثير في الناس.²

فاستخدم أكثر من أسلوب ليقدم لنا أخباره الفكاهية بما يتناسب و طبيعة الموقف و شخصية البطل و فضاء الخبر الفكاهي المكاني و الزماني ، من بين هذه الأساليب :

¹ - أبو الفرج ابن الجوزي ، أخبار الحمقى و المغفلين ، ص102 .

² - ينظر : أمانة محمد نصير، ابن الجوزي آراؤه الكلامية و الأخلاقية ، ص57 .

1- التصحيف

و هو « أن يقرأ الشيء على خلاف ما أَرادَه كاتبه ، أو على غير ما اصطَلحوا عليه»¹.

اعتمد ابن الجوزي على التصحيف بشكل كبير جدا و لا سيما في الباب العاشر الذي خصّصه للتصحيف في القرآن الكريم ، و الباب الحادي عشر الذي خصّصه للتصحيف في الحديث النبوي . أما مثال التصحيف في القرآن كقوله : « و عن محمد بن عبد الله الحضري أنه قال : قرأ علينا عثمان بن أبي تشيبة : فهرب بينهم سنور له ناب فقيل له إنما هو سور له باب ، فقال : أنا لا أقرأ قراءة حمزة عندنا بدعة»². أما التصحيف في الحديث النبوي كقوله : « حدثنا يحيى بن بكير قال : جاء رجل إلى الليث بن سعد فقال : كيف حدثك نافع عن النبي (في الذي نشرت في أبيه القصة ، فقال الليث : ويحك إنما هو (في الذي يشرب في أنية الفضة)»³.

يظهر التصحيف في العبارة : سنور له ناب و هي في الأصل سور له باب .
و في العبارة : في الذي نشرت في أبيه القصة و هي في الأصل في الذي يشرب في أنية الفضة . و هنا حدث التصحيف بسبب التنقيط .

¹ - الشريف أبي الحسن الجرجاني ، التعريفات ، ط 2 ، دار الكتب العلمية ، لبنان 2003م ، ص 63 .

² - أبو الفرج ابن الجوزي ، أخبار الحمقى و المغفلين ، ص 77 .

³ - المصدر نفسه ، ص 83 .

2- حسن التعليل

و هو « أن نذكر حالة معينة ثم نفسرها بنظرة أخرى مغايرة تختلف عن النظرة الأصلية للحالة... »¹ كقوله : « و كان أعرابي يقول : اللهم اغفر لي وحدي ، فقيل له : لو عممت بدعائك فإنّ الله واسع المغفرة فقال : أكره أن أثقل على ربي »².
يظهر حسن التعليل في جواب الأعرابي : (أكره أن أثقل على ربي) حيث جاء الأعرابي بعلّة طريفة لها اعتبار لطيف .

3- ظاهره جد و باطنه هزل

و هو أن يقول القائل ظاهره جد إلا أنّ القصد الحقيقي هو الهزل كقوله : « حدثنا المدائني قال : كان عبد الله بن أبي ثور والي المدينة فخطبهم فقال : أيّها الناس اتّقوا الله و ارجوا التوبة ، فإنّه أهلك قوم صالح في ناقة قيمتها خمسمائة درهم ، فسموه مقوم الناقة و عزله الزبير »³.

فالعبرة : (أيّها الناس اتّقوا الله و ارجوا التوبة) تتسم بالجد ، غير أنّ العبارة التي جاءت بعدها : (فإنّه أهلك قوم صالح في ناقة قيمتها خمسمائة درهم) كشفت أنّ هذا القول في باطنه هزل .

¹ - منصور اللغوي ، حسن التعليل في الشعر الشعبي (مقال) ، جريدة الراي ، العدد(10.12154) ، 2012م .

² - أبو الفرج ابن الجوزي ، أخبار الحمقى و المغفلين ، ص124 .

³ - المصدر نفسه ، ص103 .

4 - الخطأ في نسبة الكلام

كأن يقول القائل: (قال تعالى) ثم يأتي بحديث نبوي أو يقول: (قال الشاعر)
و يأتي بآيات قرآنية ، أو أن يقول: (قال تعالى) ، و يأتي ببيت شعر ، كما في قوله:
« و بلغنا أنّ يزيد بن المهلب وليّ أعرابيا على بعض كور خراسان ، فلما كان يوم
الجمعة صعد المنبر و قال : الحمد لله ثم ارتج عليه ، فقال : أيها الناس إياكم و الدنيا
فإنكم لم تجدوها إلا كما قال تعالى :

و ما الدنيا بباقيته لحيّ و ما حيّ على الدنيا بباقي

فقال كاتبه : أصلح الله الأمير هذا شعر ، قال : فالدنيا باقية على احد؟

قال: لا قال :

فيبقى عليها أحد ؟ قال : لا ، قال : فما كلفتك إذن ؟¹.

5- الخطأ في النحو

و هو كثير عند المؤذنين و الأئمة و المتحذلقين ، كقوله : « عن ميمون بن
هارون قال : قال رجل لصديق له : ما فعل فلان بحماره ؟ فقال : باعه ، قال : قل
باعه ، قال : فلم قلت بحماره ؟ قال : الباء تجر ، قال : فمن جعل باءك تجر و بائي
ترفع »².

و يظهر في كلمة : باعه

¹- أبو الفرج ابن الجوزي ، أخبار الحمقى و المغفلين ، ص101 .

²- المصدر نفسه ، ص130 .

6- الاستفهام

و هو أن يستفهم بعد خطأ على سبيل التهكم ، كقوله : « و قرأ إمام في صلاته :
و اعدنا موسى ثلاثين ليلة و أتمناها بعشر ، فتم ميقات ربّه خمسين ليلة ، فجذبه
رجل و قال : ما تحسن تقرأ ، ما تحسن تحسب ؟ ».¹
و قد جاء الاستفهام في قوله : (ما تحسن تقرأ ، ما تحسن تحسب؟) لغرض
السخرية و التهكم .

7 - التورية

و هي إطلاق لفظ له معنيان : قريب لا يراد ، و بعيد يراد و هو المقصود كقوله
: « و تذاكر قوم قيام الليل و عندهم أعرابي ، فقالوا له : أتقوم الليل ؟ قال :
أي و الله ، فقالوا : فما تصنع ؟ قال: أبول و أرجع أنام ».²
فالمعنى القريب هو قيام الليل للعبادة أما المعنى البعيد قول الأعرابي :
(أبول و أرجع أنام).

8- التمني

كقوله : « و عن أبي حصين قال : عاد رجل عليلاً فعزاهم فيه ، فقالوا له :
أنّه لم يمت ، فقال : يموت إن شاء الله ».³

¹ - أبو الفرج ابن الجوزي ، أخبار الحمقى و المغفلين ، ص 120 .

² - المصدر نفسه ، ص 120 .

³ - المصدر نفسه ، ص 158 .

الفصل الثاني: سمات الأدب الساخر في كتاب أخبار الحمقى والمغفلين

و يظهر التمني في العبارة (يموت إن شاء الله).

9- الأمر

كقوله : « و عن أبي عاصم قال : قال رجل لأبي حنيفة : متى يحرم الطعام

على الصائم ؟ قال : إذا طلع الفجر، قال : و إذا طلع الفجر نصف الليل ؟ قال :

قم يا أعرج¹.

يظهر الأمر في العبارة : (قم يا أعرج) و غرضه التهكم .

10- النهي

كقوله : « و ركب أحمقان في قارب فتحركت الريح ، فقال أحدهما : غرقنا

و الله ، وقال الآخر : إن شاء الله ، قال : لا تستثن حتى تسلم².

11- السذاجة

و هي السذاجة في الرد من شخص يفترض فيه الذكاء ، و عثرت عند القضاة

كقول أحدهم : « قال المدائني : استعمل حيان بن حسان قاضي فارس على ناحية

كرمان فخطبهم فقال : يا أهل كرمان تعرفان عثمان بن زياد هو عمي أخو أمي

فقالوا : هو خالك إذن³.

¹-أبو الفرج ابن الجوزي ، أخبار الحمقى و المغفلين ، ص 158 .

²- المصدر نفسه ، ص 158 .

³- المصدر نفسه ، ص 110 .

الفصل الثاني: سمات الأدب الساخر في كتاب أخبار الحمقى والمغفلين

و تظهر السذاجة في قول حيان بن حسان : (هو عمي أخو أمي) ، فالصحيح أنّ العم أخ الأب و ليس أخ الأم .

12- إبدال كلمة مكان أخرى

كقوله : « و عن محمد بن خلف قال : مرّ رجل بإمام يصلى بقوم فقراً : ألم ، غلبت الترك ، فلما فرغ قلت : يا هذا إنما هو (غلبت الروم) ، فقال ، كلهم أعداء لا نبالي من ذكر منهم »¹ .
أبدل كلمة (الروم) بكلمة (الترك) .

13 - التندر بالشعر :

كقوله : « و حكى بعضهم ، قال : اجتمعنا ثلاثة نفر من الشعراء في قرية تسمى طيهاتها فشربنا يوماً ثم قلنا : ليقل كل واحد بيت شعر في وصف يومنا .
فقلت :

نلنا لذيذ العيش في طيهاتها

فقال الثاني :

لما احتثنا القدح احتثانا

¹ - المصدر نفسه ، ص 119 .

الفصل الثاني: سمات الأدب الساخر في كتاب أخبار الحمقى والمغفلين

فأرتج على الثالث فقال :

امراته طالق ثلاثا¹ .

¹ - أبو الفرج ابن الجوزي ، أخبار الحمقى و المغفلين ، ص 137 .

ثانيا : آليات مغالطة ظواهر الحمق عند ابن الجوزي.

1-الحجاج بالمغالطة

يعدّ هذا النوع من الحجاج من أهم الوسائل الحجاجية في السخرية ، ففي المثال

التالي :

« أعرابي صالح و مغفل ، و كان أعرابي يصلي فأخذ قوم يمدحونه و يصفونه

بالصلاح فقطع صلاته و قال : مع هذا إني صائم»¹.

« و تذاكر قوم قيام الليل و عندهم أعرابي فقالوا له : أتقوم بالليل قال : أي و الله

فقالوا : فما تصنع قال : أبول و أرجع أنام»².

تتناقض أقوال المتكلم و أفعاله حيث كان من المتوقع أن يكون الأعرابي الصالح

الذي يمدحه القوم يصلى ، و ليس من اللائق به أن يقطع صلاته ، ليقول :

« مع هذا إني صائم» ليغالط و يخادع المتلقى أنّه لا يصلي فقط بل هو يصوم

أيضا و هذه الحجّة الأولى بالمغالطة مهدت للسؤال التالي في كون هذا الأعرابي

يقوم بالليل.

و كان القوم يتذكرون قيام الليل و هي حجّة مناسبة لمقام الحديث عن العبادة ، فكان

الجواب متوقعا و قد أكدّه الأعرابي الذي يصلي ، و يصوم ، و يوصف بالصلاح

لا يقوم بالليل للعبادة و إنّما أجاب حينما سئل : (فما تصنع ؟) قال : (أبول

¹- أبو الفرج ابن الجوزي ، أخبار الحمقى و المغفلين ، ص126 .

²- المصدر نفسه ، ص126 .

الفصل الثاني: سمات الأدب الساخر في كتاب أخبار الحمقى والمغفلين

و أرجع أنام) و يبدو أنّ المغالطة و الخداع و التضليل من الآليات الحجاجية التي تزيد من فعالية السخرية ، إذ تبين أن الأعرابي الصالح ، لا يقطع صلاته و لا يقيم الليل فقط و إنّما هو صالح لكنّه مغفل .

2-الحجاج في القرآن الكريم :

من بين الحجج الجاهزة التي لا يمكن الطعن فيها : الاستشهاد بالقرآن الكريم لأنّ « من شرف الاستشهاد بالقرآن الكريم إقامة الحجة ، و قطع النزاع ، و إذعان الخصم »¹. فالاستشهاد بالنص الديني يشكلّ حجة لا يمكن تحصينها أو إعادة النظر فيها ، و قد أكثر ابن الجوزي من استعمال الحجج الدينية كون الاستشهاد بالقرآن هو الدعامة التي تركز عليها مصادر الاستشهاد الأخرى .

ذكر ابن الجوزي في الباب التاسع من الكتاب أنّ القرآن الكريم حدثنا عن بعض المغفلين و أولهم إبليس.² يمثل هذا القول حجة قويّة ، يضمّ بها ابن الجوزي موضوعه لموضوع القرآن . و يذكر في الباب التاسع : (في ذكر أخبار جماعة من العقلاء صدرت عنهم أفعال الحمقى و أصروا عليها مستوصين لها فصاروا بذلك الإصرار حمقى و مغفلين) أنّ أوّل العقلاء الحمقى هو إبليس ، يقول ابن الجوزي : « فأوّل القوم إبليس فإنّه كان متعبدا مؤذنا للملائكة ، فظهر منه من الحمق و الغفلة ما يزيد على كلّ مغفل ، فإنّه لما رأى آدم مخلوقا من طين ، أضر في نفسه :

¹ - الفلقشندي أبو العباس أحمد ، صبح الأعشى ، ج 1 ، دار الكتب المصرية ، مصر 1922م ، ص 191 .

² - ينظر : أبو الفرج ابن الجوزي ، أخبار الحمقى و المغفلين ، ص 63 .

الفصل الثاني: سمات الأدب الساخر في كتاب أخبار الحمقى والمغفلين

لئن فضّلت عليه لأهلكنه ، و لئن فضّل عليّ لأعصينه ، و لو تدبر الأمر لعلم أنّه كان الاختيار قد سبق لأدم لم يطق مغالبتة بحيلة و لكنّه جهل القدر و نسي المقدار ثم لو وقف على هذه الحالة لكان الأمر يحمل على الحسد و لكنّه خرج إلى الاعتراض على المالك بالتخطئة للحكمة فقال : ﴿ أرايتك هذا الذي كرّمت عليّ ﴾ [سورة الاسراء : الآية 62] و المعني لم كرّمته ، ثم زعم أنّه أفضل من آدم بقوله : ﴿ خلقتني من نار و خلقتة من طين ﴾ [سورة الأعراف : الآية 12] . و مجموع المندرج في كلامه :

« إني أحكم من الحكيم و أعلم من العليم و أنّ الذي فعله من تقديم آدم ليس بصواب هذا و هو يعلم أنّ علمه مستفاد من العالم الأكبر فكأنه يقول : يا من علمني أنا أعلم منك و يا من قدرّ تفضيل هذا علي ما فعلت صواباً . رضي بإهلاك نفسه فلما أعيته الحيل رضي بإهلاك نفسه فأوقف عقد إصراره ثم أخذ يجتهد في إهلاك غيره و يقول لأغوينهم و جهل في قوله ﴿ لأغوينهم ﴾ [سورة الحجر الآية 39] من وجهين أحدهما : أنه أخرج ذلك مخرج القاصد لتأثر المعاقب له و جهل أن الحق سبحانه لا يتأثر و لا يؤذيه شيء و لا ينفعه لأنه الغني بنفسه . و الثاني : نسي أنه من أريد حفظه لم يقدر على إغوائه ثم انتبه لذلك فقال : ﴿ إلاّ عبادك منهم المخلصين ﴾ فإذا كان فعله لا يؤثر و إضلاله لا يكون لمن قدرت له الهداية فقد ذهب علمه باطلا رضي إبليس لخساسة همته بمدة يسيرة يعلم سرعة انقضائها . فقال :

الفصل الثاني: سمات الأدب الساخر في كتاب أخبار الحمقى والمغفلين

﴿انظرنى إلى يوم يبعثون﴾ [سورة الأعراف : الآية 12] و صارت لذته في إيقاع العاصي في الذنب و نسيّ قرب عقابه الدائم فلا غفلة كغفلته و لا جهالة كجهالته¹.

اعتمد ابن الجوزي على الآية الكريمة كحجة للاستدلال على الصفات المنسوبة إلى إبليس ، ثم شرح معنى الآية بهدف شدّ انتباه المتلقي و استدراجه لاستعاب تفاصيل القضايا المطروحة في الآية القرآنية . و لا يخفى علينا أنّ ابن الجوزي إمام له خبرة و دارية في طرح القضايا الدينية ، فهو واع بضرورة توضيح ما قد يكون مستغلقا على المتلقي باختلاف قدراته و باختلاف مستوياته ، فقد بيّن كيف اعترض إبليس على حكمة الله و هي حجة على غفلة إبليس بالآيتين ﴿ أرأيتك هذا الذي كرمت عليّ ﴾ ، ﴿ خلقتني من نار و خلقتة من طين ﴾ ثم يشرح ابن الجوزي معاني الآيتين بقوله : « مجموع المندرج في كلامه : أني أحكم من الحكيم و أعلم من العليم و أنّ الذي فعله من تقديم آدم ليس بصواب هذا وهو يعلم أن علمه من مستفاد من العالم الأكبر فكأنه يقول : يا من علمني ، أنا أعلم منك و يا من قدرّ تفضيل هذا عليّ ما فعلت صوابا».

بيّن ابن الجوزي كيف رضي إبليس باهلاك نفسه ، و هي الحجة الثانية التي تؤكد حمق إبليس بالآيتين الكريمتين ﴿ لأغوينهم ﴾ ، ﴿ إلا عبادك منهم المخلصين ﴾

¹ - أبو الفرج ابن الجوزي ، أخبار الحمقى و المغفلين ، ص 63 ، 64 .

الفصل الثاني: سمات الأدب الساخر في كتاب أخبار الحمقى والمغفلين

ثم يشرح المعنى الذي يربط الحجّة بالآيتين بقوله : « فإذا كان فعله لا يؤثّر و إضلاله لا يكون لمن قدّرت له الهداية ، فقد ذهب علمه باطلاً ».

أما الحجة الثالثة ، فهي رضا إبليس بالخساسة ، و يستدل على ذلك بالآية الكريمة ﴿ انظرني إلى يوم يبعثون ﴾ ليخلص بذلك إلى معنى الآية الذي يتعلّق برضا إبليس بالخساسة بقوله : « و صارت لذّته في إيقاع العاصي بالذنب كأنّه يغيظ بذلك و لجهله بالحقّ أنّه يتأثّر ثم نسي قرب عقابه الدائم » و يخلص بذلك إلى القضية التي انطلق منها و هي جهل و غفلة إبليس بقوله : « فلا غفلة كغفلته و لا جهالة كجهالته ».

بذلك يكون ابن الجوزي قد اتّخذ من القرآن الكريم وسيلة قوية يقنع بها المتلقي بغفلة و جهل إبليس ، كما ساهم في تقريب معاني الآيات بشرحها و تقريبها من ذهن المتلقي . و يختم ابن الجوزي خلاصة الحجج التي قدّمها ببيت شعري في غاية الخفّة و البساطة ، يقول فيه : « و ما أعجب قول القائل في إبليس :

عجبت من إبليس في نخوته و خبت ما أظهر من نيّته

تاه على آدم في سجدة و صار قوّادا لذريته »¹

نلمح من خلال ذلك توفير قصدية المتكلم في إقناع السامع حيث استثمر ابن الجوزي كلّ الوسائل التي تمكّنه من إفادة المتلقي و إقناعه .

¹ - أبو الفرج ابن الجوزي ، أخبار الحمقى و المغفلين ، ص 64 .

الفصل الثاني: سمات الأدب الساخر في كتاب أخبار الحمقى والمغفلين

اعتمد ابن الجوزي على تقديم النتائج بمعاني الآيات ، بذلك يكون قد أولى أهمية أولاً لإبراز الصفات التي تجعل من إبليس مغفلاً ، ثم الإستدلال على أقواله بآيات قرآنية ، و لكي يقرب من ذهن المتلقى علاقة الصفة المنسوبة لإبليس و الآية التي استشهد بها يشرح ابن الجوزي معنى الآية ليصل بذلك إلى النتيجة التي انطلق منها .

في هذا وظّف ابن الجوزي الشواهد الدينية ، و استشهد بكثير من الآيات القرآنية و يقصد بها الاستدلال و الإقناع للتأثير في المتلقى .

2-الحجاج بالحديث :

عمد ابن الجوزي ، إلى استحضار صوت الرسول صلى الله عليه وسلم باعتباره أهم صوت يمكنه من الاستدلال على قضاياها ، فوظّف الأحاديث الشريفة في عدّة مواضع من الكتاب ليستدل بها على قضاياها و أقواله نظراً للمكانة التي تحظى بها أقوال الرسول عليه الصلاة والسلام .

و مما أورده ابن الجوزي من أحاديث رسول الله عليه الصلاة و السلام عن التغليف الذي يمثّل الموضوع الأساسي الذي بني عليه موضوع أخبار الحمقى والمغفلين حديث صلى الله عليه و سلم عن تغفيل عابد قديم التي يعتبرها من أعجب تغفيل القدماء ، رواه جابر بن عبد الله عن رسول الله صلى الله عليه و سلم . يقول ابن الجوزي : « هذا و من أعجب تغفيل القدماء ماروي عن جابر بن عبد الله أنه قال :

الفصل الثاني: سمات الأدب الساخر في كتاب أخبار الحمقى والمغفلين

الرسول الله صلى الله عليه و سلم : تعبد رجل في صومعة فأمرت السماء ، فأعشبت الأرض ، فرأى حمارا يرعى فقال : يا ربّ لو كان لك حمارا رعيته مع حماري ، فبلغ ذلك نبيا من أنبياء بني إسرائيل ، فأراد أن يدعو عليه فأوحى الله تعالى إليه إنما أجزي العباد على قدر عقولهم¹.

فهذا رسول الله الذي لا ينطق عن الهوى يروي عمّن صدرت عنهم أفعال التغليل و الغاية من استشهاد ابن الجوزي بالأحاديث النبوية الشريفة أنّها تضيي نوعا من المصادقية على أخبار الحمقى و المغفلين.

1-الحجاج بالشعر :

ظلّ الشعر خطاب الأمة العربية حتّى ظهور الإسلام ، الشعر علم العرب الذين لم يكن لهم علم أصبح منه فكانت للأسلوب و العبارة الصدارة ، و من الشائع (أن الشعر ديوان العرب) ، و لهذه المقولة دلالتها في الاعتراف بسلطة الشعر و علوّ مكانته عند العرب ، فهو دستورهم و مرجعهم الأساسي و هو من الشواهد الحجاجية التي لا يستغني عنها العربي في خطابه .

وظّف ابن الجوزي الكثير من الأبيات الشعرية في كلّ أبواب الكتاب ، و هو يدرى مدى ارتباط أدنّ العربي بالإيقاع الشعري ، فيقبل على ما يسمع ، بل لا يصعب عليه

¹- أبو الفرج ابن الجوزي ، أخبار الحمقى و المغفلين ، ص 67 .

الفصل الثاني: ————— سمات الأدب الساخر في كتاب أخبار الحمقى والمغفلين

حفظ و ترديد ما التّقطته أذنه ، و قد كان ابن الجوزي يدري مدى تأثر العرب بالكلمة البليغة الجميلة التي لها في نفوسهم أثر السحر .

أورد ابن الجوزي في مقدّمة كتابه أبيات شعرية يذكر فيها فوائد السخرية كالتّرويح عن النفس ، من بين الشواهد التي استند إليها في تأكيد حسن وقع السخرية التي ترد شعرا في نفوس العلماء قوله : « و عن الأصمعي قال : أنشدت محمد بن عمران التيمي قاضي المدينة و ما رأيت في القضاة أعقل منه :

يا أيّها السائل عن منزلي نزلت في الخان على نفسي
يعذو عليّ الخبز من خابز لا يقبل الرهن و لا ينسى
أكل من كيسي و من كسوتي حتى لقد أوجعني ضرسي

فقال : أكتبه لي ، قلت : أصلحك الله ، إنّما يكتب هذا الأحداث فقال : ويحك اكتبه فإنّ الأشراف تعجبهم الملاحه ¹.

يستشهد ابن الجوزي بشعر الأصمعي الذي يتفعم بالسخرية ، ليبين أنّ السخرية أداة كبار الشعراء كما يستشهد أيضا برأي الأصمعي في القاضي الذي انشده شعرا يقول الأصمعي : « و ما رأيت من القضاة أعقل منه » استند ابن الجوزي إلى قول الأصمعي لإثبات قدر القاضي الذي يتخذة أيضا كحجة أساسية للإستدلال على فوائد السخرية و آثارها الإيجابية على المتلقي ، لأنّ ابن الجوزي يدرك مكانة الأصمعي

¹ - أبو الفرج ابن الجوزي ، أخبار الحمقى و المغفلين ، ص 18 .

الفصل الثاني: ————— سمات الأدب الساخر في كتاب أخبار الحمقى والمغفلين

الذي يعدّ حجة في الشعر العربي ، فقد كان يلقب بشيطان الشعر.

ذكر ابن الجوزي شعرا لأحد المغفلين في قوله :

« و كانوا كفأر خلف حائط و كنت كسنور عليهم تسلقا

و أمر سيف الدولة بإخراجه ، فقام على الباب يبكي ، فأخبر سيف الدولة ببكائه فأمر

برده ، فقال : مالك تبكي ؟ فقال : (قصدت مولانا بكل ما أقدر عليه ، فلما خاب

ألمي و قابلني بالهوان ذلت نفسي فبكييت) ، فقال له سيف الدولة : ويلك ، من يكون

له مثل هذا النثر يكون له النظم ، فكم أملت ؟ قال : خمس مائة درهم . فأمر له

بألف درهم¹.

إنّ ظاهرة التكبّب بالشعر و اتخاذه وسيلة للظفر بالمال ظاهرة منتشرة

في الشعر القديم ، حيث اتّسعت في العصر الأموي و العصر العباسي و بات غرض

المدح من الأغراض الشعرية التي يتكبّب بها الشعراء و يتقربون بها من الملوك

و أصحاب النفوذ ، لكن إذا لم ينل المادح من ممدوحه ما يرضيه من العطاء ، انقلب

عليه هاجيا مثلما حصل مع مادح سيف الدولة الذي لم يرضيه تشبيهه بالسنور

و أعدائه بالفئران ، فأمر سيف الدولة بإخراجه .

و لما كانت المادة وحدها هي غاية الشاعر ، ظهر فيه الخلل و القصور ، فخاب

و لم يحصل على الكسب المادي المنتظر من وراء ذلك . إلا أنّ المادح عرف كيف

¹ - أبو الفرج ابن الجوزي ، أخبار الحمقى و المغفلين ، ص 138 .

الفصل الثاني: ————— سمات الأدب الساخر في كتاب أخبار الحمقى والمغفلين

يحتال على سيف الدولة و يستعطفه ، و يأخذ منه ضعف ما كان يصبو إليه
« فكم أملت ؟ فقال : خمس مائة درهم ، فأمر له بألف درهم»

يسعي ابن الجوزي من خلال ذكره للأشعار الصادرة عن المغفلين إلى لفت
انتباه المتلقي إلى خطورة الذين يتخذون من الفن أداة للكسب إذ يتخذ هذه الشواهد
كحجج يبين بها تردّي الشعر و تحوّله إلى الضعف و السطحية و التفاهة في نهاية
العصر العباسي الثاني ، كونه صار أداة في أيدي المغفلين الذين عرفوا كيف يفرضون
أنفسهم بإضحاك الناس و تسلية الحكّام و أصحاب الجاه ، على حساب الانحطاط
بالشعر .

4-الحجاج بالأمثال :

تعدّ الأمثال من الحجج الجاهزة التي استند إليها ابن الجوزي لأنها تحمل قيما
تمثّل سندا أساسيا لتطوير أيّ حجاج ، و السير به نحو نتائج مقبولة خاصة تلك
الأمثال التي تتردّد على ألسنة الناس ، يتداولونها و يتوارثونها و تتناقل بين الشعوب
لذلك لا يجوز تبديل ألفاظها أو تغيير أوضاعها إذ بذاك عرفت و اشتهرت .

لقد اعتمد ابن الجوزي على الأمثال في الإستدلال على أقواله و قد أدرك أنّ
المثل يستطيع أن يعبرّ و يوحي إلى صميم الأشياء ما لا يستطيعه تعبير آخر مثل
إيجازها و ملائمة مواقفها ، فالأمثال أفكار شاعت في المجتمع و هي في مجملها
تلخّص التجربة الشعبية .

الفصل الثاني: ————— سمات الأدب الساخر في كتاب أخبار الحمقى والمغفلين

خصّص ابن الجوزي في كتابة أخبار الحمقى و المغفلين الباب السابع (لضرب العرب المثل بمن عرف حمقه و تغفيله) و قد بيّن فيه حمقى من ضرب بهم المثل من بني البشر ، و حمقى من ضرب بهم المثل من الحيوانات ، و الطيور « كون العرب تضرب المثل في الحمق تارة بمن عرف حمقه من الناس و تارة بما ينسب إلى سوء التدبير من البهائم و الطير ، و تارة بما لا يقع فيه فعل ، و لكن لو تصور له فعل كان ما ظهر منه حمق »¹.

و قد بلغاء العرب يكثر من استعمال الأمثال في شعرهم و نثرهم لما لها من قوة التأثير في الناس . ذكر ابن الجوزي أمثالا لمن عرف حمقه عند العرب من البشر كأحمق من هبنقة و أحمق من بني غبشان و أحمق من جحا ... كما يذكر أمثالا عن النباتات ، ثم يشرح سبب ضرب العرب المثل بها في حمقها فسبب قول العرب : « أحمق من ذئبة لأنّها تدع ولدها و ترضع ولد الضبع »². و من الطيور التي ضرب المثل بحمقها قوله : « و أما الطير فيقولون ، أحمق من حمامة لأنّها لا تصلح عشّها و ربما سقط فانكسر ، و ربما باضت على الأوتاد فيقع البيض ، و أحمق من نعامة لأنها إذا مرت ببيض غيرها حضنته و تركت بيضها »³.

من خلال هذه الأمثلة نلاحظ أنّ ابن الجوزي إنّما يربط الحمق الذي يوصف به سواء البشر أو الحيوانات أو الطيور أو حتّى النباتات بتصرفاتها التي تتّوه عن الغفلة

¹ - أبو الفرج ابن الجوزي ، أخبار الحمقى و المغفلين ، ص44 .

² -³ المصدر نفسه ، ص42 .

الفصل الثاني: سمات الأدب الساخر في كتاب أخبار الحمقى والمغفلين

و عن سوء التدبير و الجهل ، و هذه الصفات إن اجتمعت عند أيّ كان أهلك نفسه و غيره ، و خطورة الأمر أنّ الأحمق لا يدرك غفلته و هذا ما يزيد الأمر خطورة و قد سبق و أن أشرنا في الفصل الأول إلى أنّ هذه الظواهر البشرية الغريبة كانت متفشية في مجتمع ابن الجوزي ، و تغلغت في أوساط الأئمة و المعلمين و القضاة و المتدينين و غيرهم لذلك عمّد ابن الجوزي إلى معالجة هذه الظاهرة و الالتفات إليها بالتمثيل لها بذكر أخبار من ضرب المثل بحمقه و تغفيله عند العرب كونه أراد إيصال العبرة للمتلقي .

استعمل ابن الجوزي الشواهد الدينية و الأمثال و الأشعار و غيرها ، كونها ركائز أساسية في بنية الخطاب الساخر و لها بالغ الأثر فيه و ابن الجوزي - باعتباره إماما - هو يمتلك سلطة التأثير في المجتمع بثقافته الإسلامية ، انه يتمتع بسلطة ذاتية يحتاجها لانتقاد الظواهر الغريبة في مجتمعه ، لذا لجأ إلى محاورة هذه الظواهر بطريقة ساخرة تحمل بين طياتها نقدا لاذعا نظرا لما بلغه من الاقتدار على التأثير في الناس .

ليست السخرية غاية في ذاتها و إنّما هي إستراتيجية يستعملها الساخر محاولة منه تحقيق التواصل أو إقامة الحجّة بهدف تغيير الواقع فالسخرية في حدّ ذاتها حجة غير مباشرة و قد اعتمدها ابن الجوزي لإقناع متلقيه بالقيم الإصلاحية و تقويم الاعوجاج الذي ساد المجتمع ، إذ شاع الفساد و انتشرت الرذيلة ، في هذا لا يبدو

الفصل الثاني: سمات الأدب الساخر في كتاب أخبار الحمقى والمغفلين

كتاب: أخبار الحمقى و المغفلين أداة لإثارة المتعة لدى المتلقي ، و إنما هو طريق للتملص من مسؤولية القول و الاحتماء من المعارضات المحتملة ، و وسيلة مراوغة تمكّن بها ابن الجوزي من الوصول للأذهان في هدوء تام ، خوفا من بطش الحكّام الذين يدركون جيدا خطورة ما تحمله السخرية من نقد لاذع لسياستهم ، كما يدركون قدرة السخرية على قلب الجماهير عليهم .

خاتمة

خاتمة

- من جملة النتائج التي توصلنا إليها اثر هذه الدراسة:
- ارتبطت السخرية في العصر العباسي بالمجتمع ارتباطا قويا ، حيث استمدّ الأدباء و الفقهاء و الأئمة صورهم الساخرة من واقع مجتمعهم ومن مجريات أحداثه، مضيفين إليه الكثير من روحهم الفكاهية الضاحكة و الدعابة.
 - الأسباب التي دفعت ابن الجوزي إلى الكتابة عن السخرية كثيرة منها تأثير البيئة الاجتماعية و السياسية و منها ما كان لأغراض دينية و عقائدية .
 - استخدمت السخرية كسلاح فعّال لإصلاح النقائص البشرية و الوقوف في وجه الخارجين عن نظام المجتمع و قيمه الأخلاقية .
 - اتخاذ السخرية وسيلة من وسائل الشكاية و مظهرها من مظاهرها، و جعل ابن الجوزي من خلالها يلفت الأنظار إلى حال و أوضاع مجتمعه.
 - تواصل ابن الجوزي مع التراث في كتابه ، حيث كان الموروث الديني حاضرا بقوة من خلال الاستشهاد به، و كذا الاستشهاد بالموروث الشعبي المتمثل في الأشعار و الأمثال.
 - اتّسم أسلوب كتاب ابن الجوزي بالسهولة و الوضوح و الابتعاد عن الألفاظ الغريبة المعقّدة ، و هو الأسلوب الأنسب لغرض الوعظ و التوعية.

بيبايو غرافيا

I- المصادر :

- 1- ابن الجوزي أبو الفرج ، أخبار الحمقى و المغفلين ، شرحه : عبد الأمير مهنا ، ط1 ، دار الفكر اللبناني ، لبنان 1990م.
- ✓ أخبار الأذكىاء ، تح : بسام عبد الوهاب الجابي ، ط1 ، دار ابن حزم ، بيروت 2003 م .
- ✓ صيد خاطر ، تح : عبد القادر أحمد عطا ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت 1992 م .
- ✓ القصاص و المذكرين ، تح : محمد بن لطفي الصباغ ، ط2 ، المكتب الإسلامي ، بيروت 1988م.
- 2- أبو على الحسن بن رشيق ، العمدة في محاسن الشعر و آدابه ، ج 2 ، تح : محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الجيل ، بيروت 1981م .
- 3- الجرجاني الشريف ، التعريفات ، ط2 ، دار الكتب العلمية ، لبنان 2003 م .
- 4- القلقشندي أبو العباس أحمد ، صبح الأعشى ، ج1 ، دار الكتب المصرية ، مصر 1922 م .

II- المراجع

- 1- أدونيس علي أحمد سعيد ، مقدمة للشعر العربي ، ط3 ، دار العودة ، بيروت 1997 م .
- 2- أبو علي محمد بركات حمدي ، دراسة في الأدب ، ط1 ، دار وائل للنشر ، 1999 م .

3- أبو علي ياسين ، بيان الحد بين الهزل و الجد ، ط1 ، دار المدى ، سوريا 1996م .

4- شوقي ضيف ، التطور و التجديد في الشعر الأموي ، ط8 ، دار المعارف ، مصر .

5- عبد العزيز سيد هاشم الغزولي ، سلسلة أعلام المسلمين ، ط1 ، دار القلم ، دمشق 2000م .

III - المعاجم :

1- أبو الفضل جمال الدين محمد بن كرم ابن منظور ، لسان العرب ، ج2 ، دار صادر ، بيروت .

IV - الرسائل الجامعية :

1 - آمنة محمد نصير ، ابن الجوزي آراؤه الأخلاقية و الكلامية ، ط1 ، دار الشروق ، مصر 1987م .

2- أول خير عيسى سراج ، أدب ابن الجوزي ، رسالة ماجستير ، جامعة أم القرى ، المملكة العربية السعودية 1987م .

3- جهاد عبد القادر قويدر ، شعر الفكاهة في العصر العباسي ، دراسة نقدية تحليلية ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب و العلوم الإنسانية ، جامعة البعث ، العراق 2009م .

4- رابع العوبي ، فن السخرية في أدب الجاحظ من خلال كتاب التربيع و التدوير و الحيوان ، ديوان المطبوعات الجامعية ، ط1 ، الجزائر 1989م .

V - مقالات :

1- منصور اللغوي ، حسن التعليل في الشعر الشعبي ، (العدد 10.12154) ، جريدة الري ، 2012م .

الفهرس

❖ الفهرس

✓ الشكر

✓ الإهداء

✓ مقدمة 1

✓ التمهيد : في مفهوم أدب الأدب الساخر النفاة والتطور 3

❖ الفصل الأول : حول حياة ابن الجوزي وكتاب أخبار الحمقى والمغفلين

1. ابن الجوزي حياته وأعماله 10

- مولده و نشأته 10

- شيوخه و ثقافته 13

- محنته و وفاته 18

2. كتاب أخبار الحمقى و المغفلين و بواعث تأليفه 20

- التعريف بالكتاب 20

- بواعث تأليف كتاب أخبار الحمقى و المغفلين 22

❖ الفصل الثاني : سماء الأدب الساخر في كتاب أخبار الحمقى و المغفلين

1. من حيث اللغة و الأسلوب 26

- اللغة 26

- الأسلوب 28

2. الأبيات التي اعتمدها ابن الجوزي في مغالطة طواهر الحق 35

35 - العجاج بالمغالطة

36 - العجاج بالقرآن الكريم

40 - العجاج بالأحاديث النبوية

41 - العجاج بالشعر

44 - العجاج بالأمثال

49 ✓ خاتمة

51 ✓ ببليوغرافيا